رد على النقد

المماحكة اللفظية واستشراء النزعة الانهزامية اليسارية

الزميل طلال شاهين يرد في هذا العدد على نقد سميح ابراهيم لمقاله «بصدد اللحظة الراهنة والشعارات» الذي نشر في العدد ٣٧١ من « الهدف » .
ويهمنا ان نؤكد ان « الهدف » اذ تفتح صفحاتها للقوى والعناصر الديمقراطية الثورية لتعالج قضايا الثورة والمرحلة الراهنة ، فانها تأمل ان تساهم من خلال ذلك في خلق مزيد من وضوح الرؤية امام القوى الوطنية والثورية في المنطقة لمواجهة مهمات المرحلة الصعبة والمعقدة التي يجتازها النضال الثوري العربي .

الهدف

اول ما يواجهنا في الرد على ما كتبه سميح ابراهيم في العدد ٣٧٦ من « الهدف » معلقا على مقالنا « بصدد اللحظة الراهنة والشعارات» المنشور في العدد ٣٧١ ، هو ، بالفعل ، مشكلتنا مع القارىء المتفهم الذي نخشى ازعاجه واثارة ملله . لاننا مضطرون لتلخيص الاتجاه السياسي لمقالنا نفسه للتذكير ، **على الاقل** بضرورة مراعاة اصول المنطق الصوري البسيط حين مناقشة اي موضوع . فالكاتب بدلا من التعرض للاتجاه العام للمقال والقضايا المرتبطة به اتصرف « للتغميس » ، كما يقولون ، خارج الصحن ، مفتعلا ومثيرا قضايا جانبية باسم الاصول والمبادىء و « التعميق » والنقد مشوها ، من الناحيتين النظرية والعملية ، القضايا الاساسية التي كانت غاية مقالنا ابرازها والبرهنة عليها .

فالكاتب عامل المقال كمقاطع واجزاء وجمل ، مقتطعة من سياقها الفعلي ، معاملا اياها كقضايا اساسية ، عامدا الى تشويهها ومستخدما شتى انواع المماحكة اللفظية طامسا جوهر المقال وقضاياه .

وليس بنا حاجة لكي نقرر مسبقا ان مثل هذه الطريقة في الرد ، مهما تسترت بألفاظ ماركسية من حيث الشكل ، فانها لا تمت بصلة الى اصول المنطق البسيط ناهيك بروح الماركسية ومنهجها العلمي .

ولا نغالي اذا ما قلنا ان ما كتبه سميح ابراهيم لا يستحق ردا جديا بذاته لانه لم يثر اية قضية جدية ، وان كان من المفيد ، من الناحية المنهجية ، تبيان تهافت الطريقة التي يفكربها الكاتب وبعدها عن المنطق والمنهج العلمي ، الا ان الرد يكتسب قيمته وضرورته ، لا سيما في الفترة السياسية الراهنة والمقبلة ، كرد على النزعة الانهزامية « اليسارية » المستترة باللفظية الثورية او رداء « العلمية » الوصفية الواقعية الذيلية .

هذه النزعة على صلة وثيقة بأفكار الكاتب . وهي كانت مستشرية سابقا في عدد من العناصر والتيارات اليسارية داخل وخارج صفوف التنظيمات والاحزاب اللبنانية والفلسطينية . ألم يثبت الواقع مؤخرا ، كما يقول لسان حالهم ، صحة توقعاتهم « العلمية » عن طبيعة الاحزاب والتنظيمات القائمة؟! ولكن ألم يثبت الواقع ، ايضا ، افلاسكم النظري والسياسي في تغيير اي شيء من هذا الواقع الذي تنظرون اليه نظرة تأملية سكونية ميتافيزيقية في انتظار هبوط الحزب الثوري الحقيقي !!.

وتقديرنا ان هذه النزعة ، في ظل ظروف التراجع الحالي ، ستشتسري اكثر فأكثر . الامر الذي يتطلب دحضها ومحاربتها باعتبارها الوجه الاخر العملي للانتهازية اليمينية والاصلاحية ، الوجه الاخر الذي يرفض الواقع القائم دائما ، من الناحية اللفظية ، لكنه يتكيف معه عمليا باسم « العلمية » والواقعية . « علمية » الوصف الفوتوغرافي التأملي للواقع !

■■ عودة الى المقال !

لم يكن مقالنا المذكور معنيا بشرح الشروط النظرية العامة لسمات الوضع الثوري للبرهنة « من الكتب » على ان هناك وضعا ثوريا حقيقيا قد نشأ في لبنان بفعل عوامل عديدة . فهو (اي الوضع الثوري) ، بسماته المميزة هنا ، ليس بحاجة الى برهنة نظرية لكي يصبح واقعا حيا . فمقالنا ينطلق من الاقرار بوجود وضع ثوري مع الاشارة الى ابرز سماته وتعقيداته بطبيعة نشأته كوضع جديد ، **كانقطاع نوعي في سلسلة تطور النضال** السياسي الوطني والديمقراطي ابان الايام الهادئة نسبيا . والسؤال الاساسي الذي يطرحه المقال ويجيب عليه **ما العمل وواجب القوى الثورية ازاء هذا الوضع الثوري** ؟ وكيف يمكن تحويله الى ثورة من خلال اتباع سياسة ثورية منسجمة وشن نضال جماهيري حاسم انطلاقا منها ، لكي يكون هناك « نهوض جديد للثورة » ؟ وذلك على اثر الضربات الموجعة التي تم توجيهها للمقاومة والحركة الوطنية مؤخرا على يد التحالف الرجعي العربي الفاشي الامبريالي .

وهذا المقال ليس مقطوع الجذور عن سلسلة من المقالات الاخرى التي بدأناها ابتداء من مطلع ربيع ١٩٧٦ منوهين فيها الى ولادة الوضع الثوري وضرورة النضال الجدي لتحويله الى ثورة ، ناقدين تحليل الاحزاب والقوى الوطنية اللبنانية لطبيعة النظام اللبناني والهجمة الفاشية الامبريالية الرجعية العربية وابعادها . وان كانت هذه المواقف لم ينشر كلها على نطاق واسع من خلال المجلات والصحف ، فانها استطاعت ان تصل الى عدد لا بأس به من القوى وعناصر الاحزاب والقراء . فمقالنا لم يأت « بعد خرا بالبصرة » كما يقولون ، والبصرة لم يبدأ خرابها الحقيقي الا قبل ايام وجيزة حين دخلت قوات « الردع العربية » الى ما تبقى من مواقع القوى الوطنية لتحل بدل اجهزة القمع المنهارة للنظام الكومبرادوري العميل ، وكل ذلك تم بفعل السياسة المتخاذلة وغير الثورية التي انتهجتها القوى الوطنية والمقاومة ، بجسمها الاساسي ، وبفعل غياب اي دور مؤثر حاسم ، ايضا ، للقوى والتيارات الثورية الاخرى في ظل ظروف ثورية استثنائية . مما فوت عددا من الفرص التاريخية والسياسية قل ان يتكرر مثلها من اجل النضال الحاسم لتغيير النظام اللبناني العميل واستبداله بنظام وطني ديمقراطي ، بسلطة تحالف الطبقات الشعبية .

فغاية مقالنا السابق طرح ما العمل وما هي صعوبات العمل الثوري وواجب الثوريين والسياسة الصحيحة التي ينبغي اتباعها قبل احداق الكارثة الوطنية ؛ (وسيظل السؤال ، ايضا ، ما العمل لكي يكون عمر النكسة الخطيرة ، التي تعرض لها النضال الوطني والديمقراطي اللبناني والفلسطيني ، قصيرا جدا).

اما سميح ابراهيم ، فهو اصولي وحذافيري تماما « فلا يجوز » الحديث عن وضع ثوري الا بعد عرض الشروط النظرية للوضع الثوري كما وردت « في الكتب » (ويا ليت استطاع عرضها كما ينبغي كما سنرى بعد قليل) ، بالنسبة لكاتبنا « لا يجوز » المرور « بأي شيء » مرورا عاما وعابرا الا بعد البرهنة عليه فهو يطلب من مقال صغير معني بطرح سؤال ما العمل ازاء الوضع الثوري الذي نشأ ويجيب عليه ، **بأن يعالج كل شيء** : علاقة النضال السابق بالوضع الثوري الجديد ، الشروط النظرية للوضع الثوري ، « الاخطاء الاساسية والعريضة لهذا التنظيم او ذاك » اذ « لا يجوز » الكلام عن الاحزاب وبرامجها بشكل عام ، الخ .. القضايا التي لو تمت معالجتها فعلا في المقال لتحول الى سلسلة لا نهاية لها ولفقد المقال وحدته والغاية المرجوة منه . انها المماحكة السفسطائية عينها التي تغلغلت في طريقة رد صاحبنا على المقال كما سنبين بعد قليل .

لكن **الامر الجوهري** ، في النهاية ، ان صاحبنا رغم ولعه بالحديث عن الشروط النظرية للوضع الثوري ، **قد طمس واجبات الثوريين ازاءه ولم يقدم** بديلا سوى مماحكة لفظية واعتذارية انسحابية ، سوى **انكار عملي** للوضع الثوري الذي نشأ فعلا .

وقبل الرد السريع على بعض افكار ومغالطات الكاتب ، سنقوم بعرض موجز لفحوى مقالنا منعا لاي لبس وتوضيحا لوجهة نظرنا التي عمل الكاتب على تشويهها .

■■ فحوى الموضوع السابق

لقد جاء في المقال المذكور ان الوضع الثوري الجديد الذي نشأ لا يمكن مقارنته البتة بأي حقبة سياسية سابقة . فهو ليس امتدادا منطقيا وطبيعيا لمستوى النضال الوطني والديمقراطي بكافة مستوياته . وهذا ليس طمسا لدور النضال الوطني والديمقراطي السابق ، كما حاول الكاتب ان يوحي ، بل توضيحا للطابع النوعي السياسي الجديد الذي نشأ والذي يتطلب اساليب عمل ثورية مختلفة عن اساليب العمل المتبعة في ظروف النضال الهادىء ضمن نطاق سلمي من الصراع الوطني والطبقي .

وهذا الوضع الثوري لم ينشأ بفعل هجوم منظم قامت به الاحزاب والقوى الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية ، بل كنتيجة لهجوم سياسي مضاد قامت به القوى الفاشية والرجعية ، كنتيجة لفشل الحلقات الاولى من هذا الهجوم المضاد ، مما ادى الى انهيار مؤسسات السلطة الحاكمة وخاصة اجهزة القمع وسيطرة الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية على معظم الاراضي اللبنانية .

ومع ذلك كما جاء في المقال « بقيت القوى الوطنية والمقاومة الفلسطينية غير متخلية وبدون تردد عن الشرعية الزائفة للنظام العميل المنهار ، متذرعة في ذلك بحجج شتى عن الصعوبات الفعلية التي تواجه مثل هذه العملية الثورية (مثل عدم القدرة على الحسم العسكري بعد تدخل النظام السوري ، وعدم توفر الامكانيات الخ ..) محولة مسألة حسم الموقف السياسي الثوري الصلب الى مجموعة من الحقائق والوقائع الجزئية الراهنة ، مما ادى ويؤدي الى منطق سياسي دكاكيني ضيق الافق . فمثل هذا المنطق الدكاكيني يفتت الامكانيات « المحدودة » المتوافرة نفسها ويقود الى اضعاف الروح المعنوية والالتفاف الجماهيري ، كما انه يفقد الموقف السياسي والشعار الثوري كل محتواه النضالي . اذ انه لا يمكن الاعتماد دائما ، على الوضع العفوي الثوري الراهن ، بل ينبغي النضال للحفاظ على هذا الوضع نفسه وتطويره وتنظيمه . وهذا لا يكون الا في مواجهة المهام الثورية للمرحلة السياسية ككل . فالثوريون المنسجمون لا يقيسون امكانياتهم على ضوء ما يملكونه « هم » من امكانيات في لحظة سياسية محددة ، بل بمدى ما يستثيره ويستنهضه طرحهم الثوري المنسجم من امكانيات وقوى جماهيرية ثورية هائلة لها مصلحة في تغيير الوضع القائم » .

وبالمقابل ، بدلا من اتباع سياسة ثورية تستجيب لمهام الوضع الثوري الجديد والمنعطف التاريخي الاستثنائي ، استمرت « القوى الوطنية البرجوازية الصغيرة ترحب بأية مبادرة للوفاق الطبقي مع العدو من اجل انهاء او تجميد الصراع والعودة الى « الحوار » مع الفاشيين من اجل الخروج بحل وسط ومتوازن ! وكل ذلك في ظل غياب استراتيجية ثورية مما ادى بهذه القوى الى الوقوع في سياسة رد الفعل ، سياسة الرقص على دفوف الاعداء والتمسك بالروح الدفاعية التي هي كما يقول عنها انجلز : موت كل انتفاضة او ثورة مسلحة . ونظرا لسياسة الرقص على دفوف الاعداء ، بات الانفضاض الجماهيري عن الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية امرا وشيكا منذرا باحداث الكارثة الوطنية اذا لم يتم تلافي وتغيير هذه السياسة واستبدالها بسياسة ثورية منسجمة تكون على مستوى الوضع الثوري وتطور الاحداث في منعطف تاريخي استثنائي وحاسم » .

ويتابع المقال بأن تحول اي وضع ثوري الى ثورة مسألة « مرهونة بنوع السياسة التي تنهجها القوى الثورية ومدى استجابتها النضالية لمهام المرحلة السياسية المحددة » وان هناك ارثا سياسيا وايديولوجيا ثقيلا يرزح تحت وطأته النضال الوطني والديمقراطي في لبنان ، ارثا من الاوهام والتصور بامكانية التطور الديمقراطي ضمن نطاق سلمي ، والمواقف الانتظارية التأملية من مسألة التغيير الثوري بالنسبة للاحزاب البرجوازية الصغيرة القومية واوهام البرجوازية الصغيرة في الوفاق الطبقي وسياسة ترديونيونية اصلاحية بالنسبة للاحزاب اليسارية لا تحدد موقفا سياسيا ثوريا من مسألة السلطة السياسية . « علما ان قضية السلطة هي القضية الجذرية امام اي حزب ثوري يريد القيام بالثورة . وبدون وضع هذه المسألة في صلب الاستراتيجية ، وبالتالي الانطلاق منها في التوجه النضالي الايديولوجي والدعاوي والتنظيمي والعسكري ، فان الحزب الثوري يتحول الى حزب اصلاحي ، الى حزب برجوازي صغير يخشى تطور الصراع الطبقي الى نهايته المحتومة ، فينكب يزرع الاوهام للخروج بحل وسط ، مؤجلا باستمرار مسألة السلطة السياسية الى ان يحين الوقت المناسب .. ويحين الوقت المناسب فيتم التذرع بضعف الامكانيات الذاتية وكثرة الصعوبات والعوائق ، وهكذا يتم باستمرار تأجيل هذه المسألة المركزية ، لانها لم تكن مركزية في صلب الاستراتيجية نفسها » .

« ان يكون للاحزاب والتنظيمات الوطنية مصلحة موضوعية في الانتصار ، وبين ان تعي عمليا هذه المصلحة (بحكم طبيعتها الطبقية البرجوازية الصغيرة المترددة والاصلاحية) بون شاسع لا يقوم بقطع مسافته وباستقامة الا نضال